المذموم على لسان السلف والخلف في شيء ونحن لم نرجع الى أقوال هؤلاء لكونهم اخبروا بها بل لأن الله ورسوله امر بقبول قولهم وجعله دليلا على ترتب الأحكام فاخبارهم بمنزلة الشهادة والاقرار . فأين في هذا مايسوغ التقليد في احكام الدين ، والاعراض عن القرآن والسنن ، ونصب رجل بعينه ميزانا على كتاب الله وسنة رسوله ؟؟

(الوجه الرابع والستون) قولكم : أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقبة ابن الحرث ان يقلد المرأة التي أخبرته بانها أرضعته وزوجته . فيالله العجب فأنتم لاتقلدونها في ذلك ولو كانت احدى أمهات المؤمنين ولاتأخذون بهذا الحديث وتتركونه تقليدا لمن قلدتموه دينكم وأي شيء في هذا مما يدل على التقليد في دين الله ؟ وهل هذا الا بمنزلة قبول خبر المخبر عن امر حسي يخبر به وبمنزلة قبول الشاهد ؟ وهل كان مفارقة عقبة لها تقليدا لتلك الامة أو اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين امره بفراقها ؟ فمن بركة التقليد انكم لاتأمرونه بفراقها وتقولون هي زوجتك حلال وطئها !!!

واما نحن فمن حقوق الدليل علينا أن نأمر من وقعت له هذه الواقعة بمثل ما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن عامر سواء ولا نترك الحديث تقليدا لاحد. (لها بقية)

سوريا والاسلام

(٨ مسيحو سوريا في أيام الدولة العربية)

زعم الكاتب المتحمس ان المسلمين لما استولوا على سوريا ابتدأوا يسومون السوريين الذل والهوان قال « ولو ان المسلمين حكماء كباقي الفاتحين الذين اكتسحوا سوريا أو بالحري كالسلوقيين والرومانيين الذين لم يكونوا يتعرضون للسوريين بمايمس عوائدهم وعواطفهم دينيا وأدبيا بل كانوا يكتفون بحفظ سيطرتهم السياسية عليهم — لو كانوا حكماء ولم يصنعوا بهم ماصنعوه لما كانوا الاقوام السوريين الا الملاطفة والطاعة »

ثم طفق يسرد الالفاظ التي يعرفها من اللغة تدل على الظلم والاستبعاد والتي لاتدل أيضا ليعظم الامر ويهيج تعصب نصارى سوريا على مسلميها وان كان هذا التعصب

يضر قومه أكثر مما يضر المسلمين وهو لا يدري لسكره بخمرة حرية أمريكا التي سمحت له بأن يشتم الاسلام والمسلمين بما شاء قال:

«ولا يظن القارئ أن تعصب المسلمين ضد المسيحيين في أيام الدولة العربية كان بسيطا كما نفهمه اليوم. كلا. بل كان استبدادا مطلقا واستعبادا. تصور ايها القارئ حالة أمة يهجم عليها في منازلها وكنائسها ويقتل بعضها ويسبي البعض الآخر. تصور حالة أمة يحكم عليها تارة بهدم معابدها وأخذ عشر بيوتها وطورا بأخذ أحسن دورها ومنازلها لتجعل جوامع أو بيوتا للقضاء. تصور حال أمة يحكم عليها بأن تعلق على أبواب منازلها صور الشياطين تمييزا لها عن بيوت المسلمين. تصور حالة أمة يحكم عليها بأن تقفل مكاتبها ويمنع أولادها وصغارها من تعلم القراءة. تصور حال أمة لم يكن يقبل أحد من أفرادها في دواوين الحكومة المتسلطة عليها. تصور حالة أمة لم يكن يسمح لها بأن تظهر صلبانها في الاسواق ولا بأن تدق جرسا. تلك هي حالة المسيحيين في سوريا في أيام الدولة العربية. ولقد حدثت هذه وجرى هذا الضغط في أيام جميع الخلفاء الامويين والعباسيين وكان بالاكثر في أيام جعفر المتوكل على الله في سنة ٨٤٩ أو بالحري عند ما ابتدأت العربية ان تشعر بضعفها وانحطاطها».

وجوابنا عن هذا كله كلمة فذة نضطر ان نصرح بها مع الاسف وهي: ان هذا اختراع محض فلا هجوم على البيوت والكنائس ولا صور شياطين، ولا منع من تعليم، فان العرب كانوا أرحم الدول الفاتحة وأعدلها وكانت سيرتهم نقيض ما قال هذا المتعصب بشهادة عدول المؤرخين حتى من الافرنج الذين أوجدوا الغلو في التعصب الديني في الارض ثم طفق بعضهم يذمه في هذا الزمان. ومن شاهد ما تعامل به دولهم المسلمين وغيرهم في مثل بلاد جاوه لشاهد ما تقشعر منه الابدان، وهو فوق ما اخترعته مخيلة رفول سعادة وألصقته بالعرب وقد تقدم في رد النبذة السابقة ما يؤيد قولنا هذا في العرب وسنزيده بيانا

أما السلوقيون فقد كانت أيامهم كلها حروبا داخلية وخارجية من أول عهدها الى آخره وكان فيها من الفظائع ما فيها ومن أقبحها ضغط الملك انطوخيوس الثاني على اليهود ونهب هيكلهم واسراره في قتلهم ونهب أموالهم في القرن الثاني قبل المسيح وقد سلم هذا الملك الفاجر الذي لقب نفسه باسم (الله) زمام حكومته لنسائه وندمائه فأسرع

الخراب والدمار بسوء سيرتهن وسيرتهم الى سوريا ولم تتلف من بعده بران الثورات والفتن من سوريا. ولما ولي انطيخوس الثالث الملك انبرى لاخماد ثورة مولو القائد السوري الذي استقل في جهة نهر الفرات فانتهز الفرصة انخيوس وخرج عليه وادعى الملك لنفسه وهو من بيت سلقوس مؤسس المملكة فشغله ذلك عن محاربة مصر زمنا ثم عاد اليها بعد ما تولاها بطليموس الخامس وهو صغير السن وكان استولى على فلسطين وفينيقيه وسوريا السفلى . ثم زوج بطليموس ابنته ووعده بان يعطيه فلسطين وسوريا السفلى مهرا لها ولكنه لم يصدق . وبعد محاربة الرومانيين اياه وثورة ارمينيا عليه نهب هيا كل آسيا ومعابدها فاحتوى جميع كنوزها وخزائنها . ثم طالبه ملك مصر بما وعد به ابوه من مهر ابنته وهو فلسطين وسوريا السفلى فأغار على مصر حتى اذا كاد يظفر صده الرومانيون فعاد ينتقم من اليهود بما حنق غيرهم فهجم على بيت المقدس ونهب الهيكل وعاث فيه فسادا ولطخه بالنجاسة . ولم تكن حال من بعده بأمثل من حاله فهذا نموذج من سيرة السلوقيين الذين فضلهم هذا التعصب الغالي على العرب الذين كانوا أفضل الفاتحين في الارض وارفقهم وأعدلهم . ان سوريا لم يستقر لها في أيامهم قرار ، ولم تكنها مع الامان دار ، حتى ان السوريين سئموا الحياة في آخر عهدهم ودعوا طغراتيس ملك أرمينية فولوه عليهم فأمنت البلاد ، واطمأن العباد ، فأين مثل هذه الثورات والفتن في أيام العرب ؟ لقد استولى على سوريا كثير من الفاتحين الغرباء فلم يمتزج السوريون بأحد امتزاجهم بالعرب وحسبك انهم استعربوا فلم تعد تعرف لهم جنسية غير العربية . فاعتبر بتعصب هذا الكاتب الذي أراه بغض المسلمين النور ظلمة والسعادة شقاوة والخير شرا والحق باطلا ، وانظر هل يتيسر لنا جمع كلمة السوريين وفيهم مثل هذا يكتب وينشر ، ويفرق ويمزق ، ويقنع المسلمين بان سيرة سلفهم توجب عليهم عداوة النصارى ، ولا يجد له من أبناء ملته مقتدا ولا رادعا حتى كأن الجميع منه في ارائه ، مع علمهم بخطأه واختلاقه .

اما الرومانيون فتاريخهم معروف ، وعتوهم وجورهم غير مجهول ، ومؤرخو النصارى يعترفون بما قاسى السوريون منهم عامة وما قاسى اليهود منهم خاصة لا سيما بعد ما دخل الرومانيون في النصرانية . ولقد تنصر معظم أهل سوريا ولكن لم يتجنسوا

بالجنسية الرومانية ولم يكن حكامهم يعاملونهم على اتفاقهم معهم في الدين معاملة المساواة لذلك أدهشهم عدل الاسلام ومساواته فكانوا عونا للمسلمين على الروم في حروبهم ولولا ذلك لم يتم للعرب فتح سوريا في تلك المدة القصيرة. قال البلاذري في فتوح البلدان

حدثني ابو جعفر الدمشقي قال حدثنا سعيد بن العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا اخذوا منهم من الخراج وقالوا «قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم» فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم: ونهض اليهود فقالوا: والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد: فأغلقوا الابواب وحرسوها. وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا: ان ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد:

وقال في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة من حمص: «فلما أراد ان يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم (أي نحميهم) أن نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما رددنا عليكم أموالكم لانا كرهنا ان نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم: (اي نحميها) فلما أصبح أمر الناس بالسير الى دمشق ودعا حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرده عليهم وأخبرهم بما قال ابو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون: ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هذا ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا: اه وقد اورد هذين الشاهدين الشيخ شبلي النعماني في رسالة الجزية والاسلام واستدل بهما وبغيرهما على ان الجزية جزاء الحماية والدفاع (راجع ص ٣٥٦ من منار السنة الاولى)

التعدي على الكنائس وجعلها مساجد لم يكن مما يستحله المسلمون كما يعلم من له أدنى اطلاع من مسألة عمرو بن العاص مع العجوز القبطية في مصر. وهؤلاء بنو

أمية أظلم العرب قد اقترفوا هذا الاثم مرة والقصة تدل على كونها من الظلم على عدل العرب وبعدهم عن مثل هذا الاعتداء قال البلاذري في فتوح البلدان مانصه :

قالوا ولما ولي معاوية بن ابي سفيان أراد ان يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسكه . ثم طلبها عبدالملك بن مروان في ايامه لازيادة في المسجد وبذل لهم مالا فأبوا ان يسلموها اليه . ثم ان الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالا عظيما على ان يعطوه إياها فأبوا فقال : لئن لم تفعلوا لأهدمنها : فقال بعضهم ياامير المؤمنين ان من هدم كنيسة جن أو أصابته عاهة : فأحفظه قوله ودعا بمول وحمل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدمها في المسجد . فلما استخلف عمر بن عبد العزيز شكا النصارى اليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم فكتب الى عامله يأمره برد مازاد في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة ؟ وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء وأقبلوا على النصارى فسألوهم ان يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على ان يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك وأعجبهم فكتب به الى عمر فسره وأمضاه : اه

فهذه الحادثة على مافيها من خروج الوليد عن نهج الشرع لفسقه المشهور تدل على شدة محافظة العرب على الكنائس وحقوق الذمة فان ملكهم اضطر الى كنيسة ليوسع بها مسجدا رأى ان يكون أثرا من آثاره ، وموضعا لفخاره ، بعد ماعجز عنه سلفه حرمة الذمة فجاء بنفسه يسترضي النصارى ويبذل لهم المال الكثير وهم يأبون عليه ويهددونه بالوقوع في العاهات ويخاطبونه بكلمة (الجنون) فهل يصح ان يكون هذا شأن رعية مظلومة مضطهدة مع الفاتحين القاهرين ، أم هو إدلال من عوملوا بالعدل والمساواة ، والحلم والاناة ، ولم يتعودوا ان يهضموا حقا ، ولا ان يسلبوا رزقا .

قال البلاذري : حدثني هشام بن عمار انه سمع المشايخ يذكرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابية من أرض دمشق مر بقوم مجذومين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت . وقال هاشم سمعت الوليد بن مسلم

يذكر ان خالد بن الوليد شرط لاهل الدير الذي يعرف بدير خالد شرطا في خراجهم بالتخفيف عنهم حين أعطوه ساما صمد عليه فانفذه لهم أبو عبيدة . ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق سار الى حمص فمر ببعلبك فطلب أهلها الامان والصلح فصالحهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمان لفلان بن فلان وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى أرحائهم وللروم ان يرعوا سرحهم مابينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الاولى ساروا الى حيث شاؤا ومن أسلم منهم فله مالنا وعليه ماعلينا . ولتجارهم ان يسافروا الى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها وعلى من أقام منهم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا »

أرأيت الفاتح الذي يصالح خصمه مثل هذا الصلح الذي يقال فيه انه قاس بهدم الكنائس ويأخذ المنازل . كيف وقد أسلفنا في النبذة الماضية انهم كانوا يدعون لهم أملاكهم حتى ما يأذنون للمسلمين ان يشاركوهم فيها ولو بحق !!!

أما الدواوين التي زعم المتعصب أن نصارى سوريا كانوا محرومين منها فقد كانت في الحقيقة في أيديهم خاصة فان عمر لما دون الدواوين كانت دواوين بلاد الشام بالرومية لكثرة الكتاب في الروم وقلتهم في العرب مع عدم عناية المسلمين باحتكار اعمال الدولة ومن المشهور أنها ظلت على ذلك الى عهد عبد الملك ابن مروان وانظر ماقاله المؤرخون في سبب نقلها الى العربية . ونختار عبارة البلاذري لقدمه وتحريه في الرواية قال

« قالوا ولم يزل ديوان الشام بالرومية حتى ولي عبد الملك بن مروان فلما كانت سنة ١٨ أمر بنقله وذلك ان رجلا من كتاب الروم احتاج ان يكتب شيئا فلم يجد ماء فبال في الدواة فبلغ ذلك عبد الملك فأدبه وأمر سليمان بن سعد بنقل الديوان فسأله ان يعينه بخراج الاردن سنة ففعل ذلك فلم تنقض السنة حتى فرغ من نقله . واتى به عبد الملك فدعا بسرجون كاتبه فعرض ذلك عليه فغمه وخرج من عنده كئيبا فلقيه قوم من كتاب الروم فقال اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم »

فانظر هذا تجد انه لم يكن التعصب الديني مانعا للعرب من جعل جميع رجال

الدين من الروم يكتبون بلغتهم ماشاؤا حتى أساؤا ووجد عبد الملك انه ينبغي للدولة العربية ان تكون دواوينها عربية ففعل. ولم يمنع ذلك غير المسلمين ان يكونوا عمالا لهم بعد تعلم العربية ولاسيما في دولة بني العباس بل كان مثل ابراهيم الصابي يرتقي الى ان يكون وزير القلم ولسان الخليفة العباسي وكم ارتقى مثله من سائر الطوائف (راجع مقالات الاسلام والنصرانية في المجلد الخامس)

وانك لتجد الكاتب مع تعصبه قد تفلت منه القلم فأومأ الى الفرق بين أول عهد العرب وآخره ولاشك ان أول عهدهم خير لانهم كانوا اشد تمسكا بالاسلام وعملا به وهذا يثبت ان الاسلام نفسه علة للعدل لأنه يأمر به قال تعالى «ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى» اي لا تحملنكم عداوة بعض الناس لكم على عدم العدل فيهم بل اعدلوا مع العدو وغيره . (للرد بقية)

﴿ باب السؤال والفتوى ﴾

(تعدد الزوجات)

(س ٢٠) نجيب أفندي فتاوي أحد طلبة الطب في أمريكا : يسألني كثير من أطباء الامريكانيين وغيرهم عن الآية الشريفة « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة» ويقولون كيف يجمع المسلم بين أربع نسوة ؟ فاجبتهم على مقدار مافهمت من الآية مدافعة عن ديني وقلت ان العدل بين اثنتين مستحيل لانه عند مايتزوج الجديدة لابد ان يكره القديمة فكيف بعدل بينهما والله أمر بالعدل فالاحسن واحدة، هذا ماقلته وربما أفهمهم ولكن أريد منكم التفسير وتوضيح هذه الآية وماقولكم في الذين يتزوجون ثنتين وثلاثا : ؟

(ج) ان الجماهير من الافرنج يرون مسألة تعدد الزوجات اكبر قادح في الاسلام متأثرين بعاداتهم وتقليدهم الديني وغلوهم في تعظيم النساء وبما يسمعون ويعلمون عن حال كثير من المسلمين الذين يتزوجون بعدة زوجات لمجرد التمتع الحيواني من غير تقيد بما قيد القرآن به جواز ذلك وبما يعطيه النظر من فساد البيوت التي تتكون من زوج واحد وزوجات لهن أولاد يتحاسدون ويتنازعون ويتباغضون. ولا يكفي مثل